لغة العرب

مجلة شهرية ادبية علمية تاريخية

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الجزء الثالث عن رمضان سنة ١٣٢٩ == ايلول سنة ١٩١١

آثار سامرآء الخالية وسامرآء الحالية

سامرآء من المدن القديمة الحضارة والعمران ، قد سبق وجودها ظهور الاسلام بقرون عديدة ، ومن بعد ان بلغت ابعد شأو في المدنية ، اخذت بالهبوط والهوى شان كل موجود ، حتى كان عصر المعتصم فقام وبناها ثم نزلها سنة ٢٢١ هـ (== ٨٣٦ م) ، ثم جاء بعده الخلفاء العباسيون وكل منهم يبتني له فيها قصراً او صرحاً ، حتى غدت غادة مدن العراق ، بل واجمل غاداتها ، واخذ يقصدها القاصي والداني من

اهل النزهة والانس .

وكان فى جوارها من سابق العهد اى قبل الاسلام عدة اديرة نصارى كلها شهيرة ، منها : (قلاية الممر او عمر نصر) ، وكان من منتزهات آل المنذر بالحيرة ، (ودير مار سرجيس) ، (ودير العذارى) ، ودير السوسى ، وغيرها .

اما اسمها فقد اختلفت الروايات فيه وفى معانيها ، وكلها لانصيب لها من الحقيقة ، واصدق لغة رويت فى اسمها هو سامرآء (بفتح السين بعدها الف يليها ميم مفتوحة وبجانبها راء مثقلة مفتوحة ثم الف ممدودة وفى الآخر همزة) . واما قولهم ان الرواية الصحيحة هى سر من رأى اوسام راه فهذه وغيرها من مخترعات المخيلة ، ومن التآويل التى انتجها قرائح بعضهم اجابة للعقل الذى يحب الوقوف على اسرار الكون والاكتفآء بما يرضيه . ولو فكروا قليلاً لاقروا ان تاويلهم بعيد لقدم ورود الاسم ، ولعله من وضع البابليين او الاشوريين او الكلدانيين او غيرهم من الاقوام الخالية . فكيف يطلب له معنىً فى اللغة العربية .

وقد ذهب مدير هذه المجلة الى مشاهدة مايجرى فى هذه المدينة من التنقيب والحفر عن آثارها القديمة فكتب النبذة الآتية .

وقد اعتمد فى اغلب ماأثبته هنا على كتاب « سامراء » للدكتور هرتسفلد المطبوع فى برلين سنة ١٩٠٧ وعلى ماسمعه من المعمرين وشاهده هو بنفسه : (لغة العرب)

نظرة عامة في سامرآء وفي التنقيب الجاري فيها .

منذ غرة هذه السنة اى ١٩١١ م اخذت بعثة المانية بالشروع تنقيباً عن آثار سامرآء . وقد نال الامتياز بالحفر حضرة العلامة المشهور الاستاذ فريدريك صارة Frédéric Sarrè البرليني الرحالة ، الذى يعرفه اهل الشرق والغرب برحله المتعددة الى بلاد فارس وتركستان والاناضول (بلاد الروم) وبين النهرين (الجزيرة) وعهد الى اللوذعى الجهبذ الدكتور هرتسفلد Herzfeld من اساتذة جامعة برلين للاخذ بهذه الاشغال المهمة . واهل بغداد يعرفون الاستاذ المذكور حق المعرفة . لاسيما الذين واجهوه وشافهوه ، اذ عهدوا فيه سعة العلم والمعرفة بكل مايتعلق بالشرق وآثاره . وبالاخص بكل مايتعلق بالمسلمين وسابق حضارتهم . وهاهو الان يواصل التنقيب والتنقير منذ اول قدومه حتى هذا اليوم بدون ملل اوضجر اوقطع في الاشغال .

وسامرآء جليلة القدر والشان لانك تجد بين اسوارها مشهد الامامين العاشر والحادى عشر (على الهادى وحسن العسكرى) وسرداب غيبة صاحب الزمان وهى من المشاهد العزيزة على ابناء الشيعة . والا لما كان لهذه المدينة منزلة وقدر عند اهل العصر .

اما موقع هذه البليدة فهو في سهل تموج فيه الاخربة الشواخص موج المياه في البحور الزواخر . وهى كلها من بقايا ذلك العمران الشهير الزاهر الذكر المثبت ذكره في تاريخ صدر الاسلام . وتمتد هذه الاطلال على طول ضفتى دجلة الناشزتين وعلى مسافة ٣٠ كيلومتراً وفي قراب

كيلومترين عرضاً . ومما يشاهد هناك ايضاً اطلال قصور ذات بال ممتدة على الضفة اليمنى من دجلة .

ومنذ بضع سنوات اخذت سامراء بان تستوقف اطيار الافكار على جنباتها . ولاسيما افكار اهل العلم والبحث من مسافرين ومؤرخين ومنقبين . وكان في مقدمتهم الاستاذ الدكتور هرتسفلد . فانه هو ومن جاء بعده زاروا هذه الآثار الطامسة ، والاطلال الدارسة ، المبثوثة بث الجراد على اديم الارض ، ووصفوها قليلاً او كثيراً . كل بموجب علمه ونظره .

على ان هذه الانقاض ليست بشيء يذكر بجانب ماتحت تلك التلول المتراكمة من بقايا الابنية وهي تغشى وجه المدينة القديمة كلها . حتى انك تخال انها امواج بحر هائج صادفته عوامل الجمود فجأة فوقفت مائلة لاحراك لها ولا هبوط على نفسها .

كيف لا ويرى في سامراء آثار جليلة وقد كانت في سابق الزمن مقاماً للعباسيين خلفاء هرون الرشيد . وبقيت نصف قرن عرشاً لهم وذلك من سنة ٢٢١ — ٢٦٢ هـ (= ٨٣٦ — ٨٧٦ م) بل ومرجع دولة الخلافة العظمى ، وان شئت فقل بدون غلو ومبالغة «سرة العالم المتمدن» في ذلك الاوان ، ولذا تراكمت فيها كنوز لايفي تعدادها اللسان ، وثروة تخالها من نتاج عالم الخيال . لامن نتاج عالم المثال . وبعبارة اخرى : كانت سامراء تحقيق حكايات الف ليلة وليلة . التي تخال انها من اوضاع الوهم والتصور الفارغ .

على ان تاريخ سامرآء ليس من الامور المجهولة . فان ما اثبته مؤرخوا العرب ووصافوا بلدانهم المعاصرون لزهوها وغضارتها كالطبري والبلاذري واليعقوبي وغيرهم لايبقى ريباً في صدر المتريب. لاسيما قد كتب اليعقوبي فصلاً نفيساً مفيداً للمسافر فائدة تشبه فائدة كتاب « بيدكر » اليوم ليطلع على مايعثر عليه في تطوافه في سر من رأى وقد عقد هذا الفصل في مؤلفه الجليل « كتاب البلدان » .

اما الاسباب التي حملت المعتصم بالله بن هارون الرشيد على بناء هذه المدينة الطائرة الشهرة فكانت سياسية ودينية معاً . فان الخليفة المذكور كان يتعصر للمعتزلة واى انتصار حتى ان مسلمي بغداد لم يعودوا ينظرون اليه بالعين التي كانوا يرمقونه بها سابقاً . هذا فضلاً عن انه كان اول من انشأ جيشاً من الترك يتقوم من موالٍ (مماليك) اشتراهم التجار من اسواق تركستان وتخوم بلاد الصين حتى اوصل عددهم الى ٧٠٠٠٠ رجل . وذلك بعد ان خلف اخاه المأمون على عرش العباسيين في حاضرتهم .

على ان وجود مثل هذا الجيش في موطن لايخلو من خطر ومن مناوشات بين افراده وبين اهل البلدة . ولذا كانت تكثر الاحداث في الزوراء حتى تجرى الدماء بين القبيلين . وكانت بغداد تمتد يومئذٍ من الكاظمية الى مقبرة الشيخ معروف الكرخي . فلما رأى الخليفة ان لا سلام في دار السلام عقد نيته على بناء مدينة في الموضع الذي ترى اليوم سامراء . وفي هذه الحاضرة اخذ ظل الدولة العباسية يتقلص

اى منذ عهد هذا الخليفة ومن جاء بعده وسببه تكاثر الموالى وتداخلهم فى شؤون الدولة وشؤون قادة اعنتها الامراء العباسيين .

وبعد انمضى اربعون سنة على اعمال هؤلاء الموالى هى اعمال كلها منكرات خلدتها دواوين التاريخ وبطون الاوراق . افضى بهم الامر الى انشاء رتبة (منصب) امير الامراء وكان عبارة عن سيد مطلق اليد فى مايأتيه من الاوامر والزواجر . وقد وقع ذلك عند افول شمس هذه الدولة فى مدة الاربعين سنة . وهذا امير الامراء هو الذى اتفق مع الموالى على اكراه المعتمد على الرجوع الى بغداد وقضاء ثمالة ايامه فى قصره الذى اصبح له بمنزلة سجن ذهى النلواهر.

وعلى اثر هذه الحوادث اخذ سكان سر من رأى بمزايلتها، الجماعة بعد الجماعة، متجهين مرابع بغداد وجنباتها الخضرة النضرة ، ولم تمض ايام كثيرة الا وهدمت سامرا بالسرعة التى انشئت بها . وكل من جاء بعد هذا العهد من كتبة العرب كابن حوقل وابن جبير وياقوت الحموى وابن بطوطة . لم يجدوا لوصفها الا مايفتت الاكباد ويلين الجماد اذلم يعثروا فيها الا على انقاض واطلال لمدينة كانت ازهى مدن الدنيا وابدعها واعجبها واتقنها بناء وهندسة .

واذلم تخرب هذه المدينة لابالحرب ولابالحرق ولا بالاكتساح ولا بزلزلة الارض ولا بمرض من الامراض الوافدة الجارفة بل بمهاجرة اصحابها لها ، بمهاجرة متصلة الاوائل بالاواخر، فلا يأمل الناقب المنقور على الكنوز المذكورة فى كتاب الف ليلة وليلة لان سكانها اخذوا معهم

عند انحدارهم الى بغداد على دجلة كل ما يحمل وينقل ويفيدهم ولو فائدة زهيدة . حتى انهم اخذوا معهم مرادى السقوف وحراديها وابواب الدور . وكل ماضاهى هذه الامور .

على ان العلماء من المنقبين، اهل البحث والتحقيق، لايطلبون اليوم الركائز والدفائن . ولا الاعلاق ونفائس المعادن . انما همهم تنوير الافكار فيما يتعلق بامر تاريخ عمران ابن آدم فى سابق العهد . فالعراق العربى هو من البلاد التى يحق للعلماء ان يتباهوا ويتفاخروا بارضه ، لما فيه من الآثار العادية ، لكل عصر من العصور الخالية ، ومع ذلك لاترى الا اناساً يعدون على الاصابع عرفوا مكانة هذه الديار الرفيعة القدر ، وانزلوها حق منزلتها.

وعلى كل حال فان التنقيب الحديث الطريقة العلمية، يرى لاول مرة فى سامراء ، وهى الطريقه التى اتبعت فى البحث عن آثار الجزيرة (بين النهرين) وبلاد الروم (بر الاناضول) وبلاد اليونان منذ ٧٠ سنة . وذلك نشداً لضالة العمران الاسلامى فى الديار المذكورة ، ومن ثم فالتنقيب الجارى اليوم فى سامراء هو جليل القدر والخطر ووحيد المثال ، لان الدكتور الملامة هرتسفلد يتوخى الطريقة القويمة للبلوغ الى تحقيق مافى الامنية .

هذا فضلا عن ان البحث عن حضارة الاسلام اخذ مأخذاً عجيباً فى ديار الافرنج منذ عشرين عاماً ، لاسيما بعدما اثبته وقرره علماء اذكياء نجباء لايشق لهم غبار، يعدون من الطبقة الاولى فى التدقيق والتحقيق،

مثل تيودور نولدكه Théodore Noeldeke في استراسبورغ . وانياز غولدزيهر في بوداپست . Ignaz Goldziher وكبار المستشرقين الهولنديين مثل ده غوية de Goeje واسنوك هوغرنية Snouk Hugronje وغيرهما الذين غاصوا على درر الحقائق في بحار المشكلات والمعضلات المتعلقة بالاسلام، على وجه لم يسبقهم اليه سابق .

ومما ساعد ايضاً في توسيع نطاق العلوم العربية « ديوان الرقم العربية » Corpus Inscriptionum Arabicarum للدكتور مكس ون برحم Dr Max Van Berchem وكتاب تاريخ الاسلام للبرنس ليونه كايتاني Annali dell' Islam du Prince Leone Caétani وكتاب الموسوعات الاسلامية الذي يولف بمراقبة الاستاذ هوتسما في ليدن وبنظارة مجامع العلم الدولية الاوربية Encyclopédie de L'Islam , sous la direction du Prof. Houtsma ففي هذا الكتاب بل البحر المحيط تجد جميع المباحث المتعلقة بديار الاسلام كلها قاطبة وذلك من بلاد الاندلس الى الصين ، مع ذكر جميع الالفاظ التي وردت على السنة المسلمين ، اوعنت على بالهم ، اوخطرت في خيالهم ، اوابرزته مخيلتهم وقريحتهم ، اواتصلت اليه حضارتهم الخاصة بهم . اما الكتبة الذين يشتركون في انشاء هذا الديوان الواسع المباحث والاكناف فهم عبارة عن جيش لهام ، اسلحته الاقلام ، وميدانه مطالب العلماء الاعلام ، وقد جمعت ابطاله الصناديد المغاوير ، من جميع الديار والاصقاع ، وهم يدأبون

فى التحقيق والتدقيق بدون ان يأخذهم ملل او سأم .

ومما يحسن لنا ان ندونه باحسرف من ذهب هو اننا وجدنا بعض الاخوان المسلمين من ابناء هذه اللغة الشريفة يماثلون الافرنج فى سعيهم هذا كالمصاة تونس ومصر والهند . واما فى ديار دولة آل عثمان فلا نرى فيهم ممن اهتم لهذا المشروع العميم الفائدة ، وعضده بما فى طاقته ووسعه الا الدكتور خليل ادهم بك الرئيس العام لدور التحف الشاهانية

ومما يجب ان يعرفه مطالع هذه السطور ، ان الدكتور الاستاذ صارة Sarre يهتم منذ مدة مديدة بتاريخ الصناعة الاسلامية الفنية ، ولقد ضرب فى الارض متجولا ليبحث فى اسفاره عما يحقق امنيته فى هذه الغاية فجمع مجموعة كلها غرر بل درر من نتاج الصناعة الاسلامية ، وهى اليوم فى بابها يتيمة الدهر ، وخريدة العصر ، لايضاهيها اويدانيها اعاق مهما كان نفيساً ، والخلاصة ان الكلام يطول لذكر كل مايناشر ويبرز من المطبوعات لترقية هذا الفرع من علوم المسلمين وعمرانهم وتمدنهم فرع ، هو كما تراه ، فى المنزلة القصوى من القدر والخطر .

ولتحقيق هذه الغاية على احسن وجه ، وادق اسلوب ، بعث الدكتور صارة المذكور ، دكتورنا العلامة هرتسفلد للبحث عن آثار سامر آه والكشف عن دفائنها ووصفها .

فقد ثبت لديك بعد هذا كله ان لاغاية لهؤلاء العلماء الاعلام الا الهيام بالصناعة الاسلامية الفنية ولاسيما الهيام بفن الابنية ، والاساليب لتخذة لتزيينه وتزويقه وتحسينه ، اساليب متحدة به اتحاداً لامحيد عنه .

ولقد كادت الصنائع الفنية الاسلامية في القرن الثالث للهجرة، تكون مجهولة الى عهدنا . ولهذا اصبحت نتائج التنقيبات في الغاية القصوى من الخطر والشان العلمي،واول ماشرع به في سامرآء كان رفع كل مايغشى اخربة الجامع الاعظم الذى بناه المتوكل على الله ، والمنارة الغريبة البناء الموجودة فيه ، وهى المنارة المعروفة باسم « الملوية » وقد بنيت على غرار برج بابل او الزقورة او الذكورة البابلية .

وبعد ان ظهر للعيان صحن الجامع بانت كل البيان البناية الداخلية وعمد الرخام وما يزينه في الداخل من نقوش مطبوعة وتصاوير ملونة وفسيفساء . ولقد دقق الدكتور هرتسفلد نظره في بعض دور الخاصة المجاورة للمدينة الحديثة فاذا هو امام مدينة مدفونة في الشرق دفن بمبائي في الغرب . ووجد غرفاً وحجراً وردهات قد زينت جدرانها وغشيت حيطانها بتصاوير شرقية منقوشة نقشاً بارزاً وغائراً في الجص وهى في غاية البهاء والجمال ، وكلها محفوظة احسن الحفظ ، كأن البناة قد غادروها قبل ان يدخلها اهل البحث . هذا ولا ترى النقش على الجص فقط بل انك تشاهد تصاوير ملونة في مواضع الجص الفارغة من النقوش ، وهناك ايضاً تصاوير مختلفة الالوان بل وصور اناس كلها ملونة على ابدع مثال وهو امر في غاية الندرة في تاريخ الصناعة الاسلامية ان فنية وان بنائية .

وخلاصة القول انك تجد في سامرآء كنوز فن ودفائن صناعة لم تسمع بمثلها من افواه الناس والمسافرين ، كما لم تشاهد العيان

نظيرها .

ولقد سبر الدكتور بعض السبر قصراً واقعاً على عدوة دجلة اليمنى يعرف (بقصر العاشق) ورأى انه يتابع السبر بعد ذلك .

اما الآن فانه يجرى التنقيب فى قصر مبنى قد افترش من الارض فسحة عظيمة تناهز كيلومترين مربعين ونصفاً . وهو واقع فى جنوبى سامراء واسمه « المتقور » وهو ولا شك القصر المعروف سابقاً باسم « بلكوارا » الذى بناه وسكنه المعتز بالله بن المتوكل على الله ، وذلك قبل ارتقائه عرش الخلافة .

الى هنا توقف جواد القلم عن الجرى فى ميدان التنقيب ونلفت عنانه الى مايجب ان تحوم عليه اطيار الافكار والانظار وهو : انه ليس من ينكر اليوم المنافع الجزيلة التى انتفع منها الناس اثر التنقيبات التى اجراها اهل البحث ، وممن انتفع منها بوجه اخص محبو تاريخ بلادنا ومجد السلف اجدادنا ، مجد من شانه ان يفاخر به ابناء هذا العصر ليندفعوا الى التشبه واللحاق بهم ، ويعيدوا سابق عز هذه البلاد ، ويستعيدوا ماسلب منهم اويسلب ليحافظوا على مالديهم من وسائط الغنى والثراء والنماء فى مستقبل الايام .

وفى هذا الصدد لايمكننا السكوت عن ابراز مايكنه صدرنا من الاسف واللهف . فان هذه التحف التى ازيح عنها الستار ، ذاك الستار الذى سدله عليها الزمان مع بوائقه . والجو مع تقلباته . اذا بقيت مكشوفة الوجه والظاهر . فانها تكون عرضة للتلف

العاجل . ومما يساعد على ذلك قانون الآثار والعاديات نفسه ذلك القانون الذى يمنع كل المنع نقل الآثار القديمة باى وجه كان . ومع ذلك فان المتاجرين بها يتخذون ادق الوسائل واوفاها بالمطلوب لتحقيق امانيهم ، اى انهم يتوصلون الى مشترى مايريدون بدون ان يقعوا فى شرك التبعة المشؤومة ، لانهم يتخذون من الظواهر ماينيلهم مرغوبهم وينجيهم من البلايا التى تقع فى مهاويها من لايحسن مزاولة هذه التجارة واذا انعمت النظر فى ماياع ويشترى فى اسواق باريس من الآثار العادية تجد ثلاثة ارباعها قادمة من البلاد العثمانية ، وقد بعث بها الى فرنسة خفية وتهريباً ، فتباع هناك بأثمان باهظة ينتفع بها من يشتريها فتخسرها الدولة خسارة لامقابل لها ، بل ويخسرها اصحاب تلك الديار التى كانت فيها ، لابل ويفقد منافعها اصحاب دور التحف الافرنجية والعثمانية كما يفقد منافعها من قد الهيج بجمعها ليستفيد منها فائدة علمية ،ومن ثم يفقدها العلم واصحابه كل الفقد لانها تقع بيد جهلة لايعرفون قدرها . اذلا هم لهم الا هم جمع المال باى واسطة كانت وعلى اى وجه يكون ، اريد بهم تجار الآثار العادية فى باريس .

فمما تقدم ذكره وتقريره ترى النتائج المشؤومة التى تتولد من قانون حصر الآثار المثبت فى قوانين الدولة ، وكيف انه مضر بالعلم . فاذاً لابد من اتخاذ مايبعد هذا الخطر ويفيد الدولة والامة ولهذا اعرض هذا الفكر :

ان قانون حصر الآثار القديمة لايتكفل لنا ابداً بحفظها في محلها ولا في محل آخر خاص بها . وهي طامة كبرى لايعرف عقباها الوخيمة الا من يقدر التحف حق قدرها . واننا لانظن مثلاً ان المتحفة الشاهانية تغنى باتخاذ الوسائط اللازمة والناس المهرة لنزع ماعلى جدران وحيطان سامرآء من المزينات والمزوقات والمحسنات البنائية وجعلها في صناديق ونقلها الى الاستانة ، لانه قبل ان يخطر لها هذا الخاطر تسبقهم الامطار والارياح وسائر عوامل الجو الى ايقاع الاضرار بهذه الكنوز الصناعية فضلاً عن وصول ايدي تجار العاديات اليها فتعبث بها بل ولا تبقى ولا تذر ، وتنزع ماهنالك من عجيب التصاوير والنقوش حتى لايبقى لها ادنى اثر .

نعم قد عنى محبو الآثار في ديار مصر بحفظ مايجدونه فيها وقد اتخذوا جميع الوسائط اللازمة للانتفاع بما يكتشفونه . وربما كانت تلك الوسائط تضاهي الوسائط المتخذة في بلاد الافرنج ، بل ولعلها تفوقها بكثير لحداثتها ووفائها بالغرض على احسن وجه ، لكن اين بلادنا من ديار مصر . ومع هذا فان القانون هناك يبيح تقاسم الآثار بين الحكومة وبين الناقب ، كما تجيز له نقل تلك العاديات الى بلاده . فهذا ايضاً مثال يحتذى عليه ويتبع لحفظ هذه الآثار من التلف والفساد والاضمحلال او ان احسنت ظناً : من الضياع والانتشار فرادى مبثوثة على غير جدوى . ونحن نستحسن هذه الطريقة ، ولا سيما اذا كانت تلك العاديات مزدوجة المثال ، فان الناقب يحرص عليها اكثر من حرصه

على حياته . فاملنا اذاً من الحكومة ان تسعى الى اتباع هذا القانون الحسن النتيجة لها ولمن يحث وينقب عنها .

وان لم يصح هذا الرأى فلنا فكر آخر فى حفظ هذه الآثار وهو ان تسعى الولاية فى اقامة دار للتحف فى الحاضرة كما يرى مثل هذه الدور فى سائر البلاد المتمدنة ، افهذا ايضاً من الصعب الممتنع او من المستحيل البعيد ؟ الا يوجد مثل هذه المتاحف فى بلاد الهند ومصر وتونس لابل ونجد اليوم فى قونية نفسها من بلاد الدولة العلية متحفة صغيرة حسنة ، افلا يمكن لبعض اعيان مدينتنا الزوراء الزاهرة ان يتضافروا ويتكاتفوا للاشتراك فى جمع مال ، لمثل هذا المشروع المفيد الذى يزرى بجمع اللآل . فهذا العمل ، وايم الحق ، احد تلك الاعمال التى تخلد اسماء الرجال . وتجارى بها اهل الديار الغربية . وتفاخرهم بآثار اجدادنا مفاخرة تعود فائدتها علينا وعلى بلادنا العربية ان الله على كل شئ قدير وبالاجابة جدير .

وسنكتب فى وصف سامرآء ووصف ماشاهدناه فيها من الآثار الطوامس ، والطلول الدوارس ، وصفا يفيد متبغى الآثار ، ومقتبسى الاخبار مما يدهش القارئ ويبهر السامع فى العدد الآتى وما بعده ان شاء الله تعالى .

(للبحث صلة) م . . كاظم الدجيلى

يقظة العلم فى ديار العراق

اسلفنا القول فى العدد الاول من هذه المجلة ماكان لاهل العراق من اليد العاملة فى جمع شتات لغة العرب قبل الاسلام وبعده .

على ان فضلهم يبدو كل البدو بل كالشمس في رائعة النهار ، اذا مانظرنا الى ماأتاه العباسيون من جلائل المآثر لتدوين اللغة وجمع علومها العربية ، وترجمة الاسفار الاعجمية ، واتخاذ كل ما يسير بها وباهلها سيراً حثيثاً الى بلوغ ابعد شأوٍ في العمران والحضارة والتبسط فيهما .

وما زال الامر على تقدم ونجاح حتى كان عصر المأمون ، فان العربية وعلومها بلغت في عهده مناط العيوق ؛ ثم وقفت حيناً من الزمن كانها تكبدت سماءها ، ومن بعده اخذت بالانحدار المتئد متبعة سنة الشروق والغروب . — ولما سقطت بغداد على يد هولاكو ، غربت شمس العربية وعلومها ، وخبت انوارها ، وادلهمت دياجير الجهل ، وتلبدت سماء العراق بالسحب المكفهرة ، او ان شئت فقل: اصيب العلم وذووه ورافعو لوائه بداهية لم تضارعها داهية في سابق تاريخها اهوت بهم الى قعر الذل والهوان ، بل الى اقصى دركات الخمول والجمود .

وهل تخال ان النوائب وقفت عند ذاك الحد ؟ — كلا ، فانها سارت في وجهها صارعة ام العراق وبناتها وبنياتها ، كانها تحاول التشفي من ترقيها السابق ، والانتقام من تقدمها الحثيث حتى انها لم تبق لسكان هذه الديار المنكوبة الا هم التخلص من دوائرها ، والافلات من سطواتها وفتكاتها .

ثم اشتهر بعد ذلك جماعة من اهل العلم والادب والفضل والكتابة

لكنهم لقلتهم عدوا من نوادر الزمان وفلتات بوائق الايام . بيد ان بعضهم شدا اللغة الفارسية فنظم بها وانشأ وحرر وحبر وكتب التواريخ ، ومع ذلك لم يرفع له منار كما رفع لمن تقدمه من ابناء هذه اللغة الضادية .

وبقيت الامور تجرى على غير هدى : بين سير الى الامام ، ورجوع الى الوراء ، وخبط او جمع بينهما ، حتى كان عصر حكومة سليمان باشا الكتخدا او القتيل فى فجر القرن الثانى عشر من التاريخ الهجرى فاخذ العلماء والادباء يتنفسون الصعداء ، من تلك البرحاء ، مستنشقين نسيم الراحة والطمانينة ، متيمنين بايامه ، ومتفائلين ببدء عودة عهد غضارة اللغة والعلوم والآداب ثم جاء بعده خلفه داود باشا ، فكان هذا لذاك كالمأمون للرشيد مع حفظ قاعدة النسبة لكل واحد بموجب عهده ومقدرته ومنشاه .

ولابد من ان نذكر طرفاً من ترجمة كل من هذين الباشوين الوزيرين حتى يجوز لنا بعد ذلك ان نتكلم عمن نبغوا فى عصرهما او اشتهروا بعدهما .

ترجمة سليمان باشا القتيل

كان سليمان باشا القتيل والكتخدا ، الثالث ممن تسمى بهذا الاسم من ولاة بغداد ، وهو ابن اخت على باشا القتيل ، وزر على بغداد سنة ١٢٢١ هـ (= ١٨٠٦ م) ولما تولى الوزارة سار فى الرعية سيرة حسنة حميدة ، ورغب فى العلوم ، ونكب عن الابحاث الفلسفية التى

كان قد الهج بها فى غلوائه ، ومنع العمال من اخذ الرشى والهدايا ، وكان يعاقب من يخالفه اشد المعاقبة وكان يتجسس الاخبار ليقف على من يتطلب السحت اويأتى هذه الدناءة ؛ واكرم العلماء واحتفى بهم اشد الاحتفاء وبالغ فى ذلك ليحمل الناس على تعشق العلوم والآداب والتفرغ للصلاح واعمال البر . وكان ممن نال الحظوة عنده الشيخ على بن محمد السويدى وكان هذا الرجل من مشاهير ذلك الاوان بعلمه وفضله وفضيلته .

وكانت ديار العراق فى ذلك العهد عرضة لمساوى اهل البادية وسكان جبل سنجار ، ففكر الوزير بان يمثل بهؤلاء المفسدين العاثين بالبلاد ليستريح الناس منهم ويطمئنوا بالا .

فلما كانت سنة ١٢٢٤ هـ (= = ١٨٠٩ م) غزا فيها ديار بكر بجيش لهام لتأديب اعراب الضفير وقبيلة من عنزة كان كبيرها الدريعى. وكان خروجه من الزور آه فى الخامس والعشرين من محرم (= = ١٢ آذار) فلما جاوز الموصل شن الغارة على اليزيدية فصبح القرية المعروفة باسم « البلد » وغنم وقتل وسبى . ثم تحصن اهلها بثنية من ثنايا سنجار ثنية لا ترام فعدل عنهم .

ثم توجه الوالى الى الضفير والعنزيين فلما هبط البلدة المعروفة باسم « العين » الواقعة بين حران ونصيبين جاءه رسول من قبل رئيس الجند الذين فى ماردين يطلب منه المدد ، ولما لم يكن له بد ان يمده هو بنفسه اخذ اليه اخاه فى الرضاعة « احمد بيك » وباقى العسكر ليرجعوا

على الضفير وتوجه هو الى ديار بكر ، فلما وصل الى قرية يقال لها « ديرك » حاصرها . فخضع اهلها وادوا ماعليهم من الخراج . ثم توجه منها الى ماردين، ولما اوشك الوصول اليها جاءه اخوه في الرضاعة احمد بيك وقد كسره الضفير وقتلوا من عسكره خلقاً كثيراً فاراد الوزير الكرة على الضفير لكن لم تساعده الاحوال ، لان عسكر الاكراد تخلف عنه ، ولذا عدل عن مناجزتهم وحاول الرجوع الى بغداد .

فلما وصل الموصل اقام فيها ثلاثة ايام ثم رأى في خلالها ان الاصلح له ان يسرع في الرجوع الى دار السلام ويبرز منها اوامره وزواجره سياسة للولاية فتفعل وتجح لانه قهر بني عبد الجليل في الموصل عند خروجهم عن الطاعة وان كان خسر في الموقعة واليها احمد باشا .

وبعد ان انتشر الامن في ديار العراق اخذ الوزير بعد اروقة العلم وضرب خيامه ، فانشأ في بغداد عدة مدارس ، واعاد بناء ما كان منها دوارس ، وشيد المساجد والجوامع ، واجرى على العلماء دافق سيول الوظائف والرواتب ؛ وكافأ اهل الفضل والادب بما لا يفي وصفه اليراع فكان هذا الوزير اول من أيقظ العلم والمنتمين اليه بعد ذلك السبات العميق ثم جاء بعده بقليل داود باشا فانهضه النهضة التي خلدت له الاثر المحمود والذكر الطيب .

وكان سليمان باشا شاباً متوقد الفؤاد ، حسن الشمائل ، جليل المناقب ، كثير الحسنات والمبرات محباً للعدل والقسط ، كريماً ، عارفاً بامور الدنيا والدين ، وديعاً ، مطلعاً اتم الاطلاع على امور

السياسة لين العريكة ، رقيق العواطف ، دقيق الشعور ، محبوباً لدى الكبار والصغار ، الغى بعض الضرائب القديمة وجميع الرسوم التى اقامها الولاة الذين سبقوه ولاوجه حسن لها وكانت قد اضرت بالبلاد واهلها كالاحتساب وتحصيل الرسم ومباشرة الخدمة وضبط المخلفات وغيرها وابطل القتل الا ما كان منه بمنزلة القصاص . والخلاصة : اتخذ لهائمة جماعة الحنفيين .

ومما اثاه من الحسنات انه امر ان ينفق على قضاة بغداد من مال خزانته الخاصة واجرى مثل ذلك على سائر قضاة ديار العراق ونوابها الراجعين اليه . وكانت ارزاقهم فى السابق غير معينة تأتيهم من حسنات المسلمين .

ومن غرائب ماوقع لهذا الوزير الخطير انه من بعد ان نسخ تلك الرسوم الباهظة والضرائب الرازحة زادت واردات الخزانة اضعاف اضعاف ما كان يدخلها سابقاً وساد الامن والسلام فى جميع البلاد مع انه ازال كل تعذيب من اى نوع كان ان صلباً وان قتلاً .

ومع ما كان لهذا الرجل العظيم من الاوصاف العجيبة طوحه غروره فى ما لا تحمد عقباه لانه اعتزل الناس واخذ يعمل بما يوحيه اليه عنفوان شبابه واشارة المعجبين به ممن يخاف ان ينبهه على زلله انلا يفقد حسن التفاته اليه . ولهذا تتابعت عليه المصائب والنوائب حتى لم تبق له مجالاً . وفى النهاية افضت به الى عزله . ثم لما تظاهر بالعصيان قتل قبل ان يتم السنة الثلاثين من عمره على يد احد اعراب الدفاعة سنة ١٢٢٥ هـ

[= ١٨١٠ م] فاسف عليه كل من عرفه .

مؤسس الصهيونية

Sabbethai , ou le fondateur des Sionistes

كثر فى هذه الايام ذكر الصهيونية ، واغلب الناس لايعرفون من امرهم شيئاً ، كما لايدرون عن مؤسسهم مايبل صدى تشوقهم الى الوقوف على دخلة نيته الاولى ، وقد كتب بهذا الصدد احد ادباء الاستانة رسالة الى جريدة « الاونيفر » الفرنسوية ، فى عددها الصادر فى ١٦ حزيران ١٩١١ ، بها يطلع الناس على صاحب هذه العصابة بما هذا معناه :

قبل ان تشتهر هذه الجماعة باسم « الصهيونية » كان الترك يسمونها « الدونمة » وهى لفظة تركية معناها : « المهتدون » . ثم لما انتشر امرها فى البلاد عرفت باسمها الحقيق .

كان مؤسس هذه الفرقة رجل طوى بساط ايامه فى القرن السابع عشر من الميلاد وكان يقول عن نفسه انه « المسيح المنتظر » . وكان اسمه « شبطاى » .

ولد فى ازمير سنة ١٦٢٦ م من اب كان قدقدم من اسبانية . ولما ترعرع بانت عليه مخايل الذكاء والنجابة ، وكان حسن الصورة ، وضاء الوجه ، ذا عارضة وفصاحة ، وكان اذا تكلم جذب اليه الانظار وحلم علمه اطيار الافكار ، وكان همه مماطاة العلوم الخفية المعروفة

يعلوم الجفر ؛ وكان قدافضى به الامر الى انه اقنع عدداً مذكوراً من اليهود بسمو بعثته حتى ايقنوا به كل اليقين . ثم قضى عليه القضاء ان يتنقل من ازمير الى الاستانة الى سلانيك الى حلب الى القدس الشريف ، فزاد بذلك جمع المتضمين اليه .

ولما بلغ به الامر الى هذا الحد من الشهرة ادعى انه متحد اتحاداً سرياً « بالشريعة » فتيسر له ان يتنبأ عن قرب عودة الاسباط الاثنى عشر فى ديار فلسطين .

وبينما كان يوما فى مصر القاهرة ، صادف فيها امراة يهودية بارعة الجمال ، غريبة الاطوار ، فاخذ منها الهوس كل ماخذ ، وكانت تدعى انها العروس الموعودة للمسيح المنتظر ، ولا حاجة الى القول ، وافق شن طبقة ، وما ابطأ ان تزوجها واتم اسفاره فى ديار الشرق ، وهو بين اجلال واذلال ، بين رق وهوى ، تارة يعظمه القوم ، وطوراً يطردونه من المدن بدون ان يدعوه ان يمضى فيها نهار اليوم .

ومن جملة ماحل به من النوائب انه دخل سنة ١٦٦٥ م الاستانة فعلم بامره السلطان فاعتقله فى قصر ابيدوس ، واذن له بعض الحرية لاسيما ان يقابل تلامذته ويجاذبهم اطراف الكلام .

واتفق له ان فى ذلك الحين حدث له مايقى له شهرة حالته اى اتحاله الاسلام لاسيما ان السلطان وعده بالهيل والهيلمان ان اسلم . فظن هذا المسيح الممسوخ انه الم يلب طلب الياديشاه ، يخرج من هذه الدنيا بصفقة المغبون او بسمة الملعون ، فلى طاب الخناق وسلم

اما متبعوه فلما كانوا قد اعجبوا به وبآرآئه قالوا : ان لم يكن شيخنا ممن يعلم بحسن مآل اعماله هذه ويجذب المسلمين اليه لما كان يدين بالاسلام ، ولهذا يحسن بنا ان نماثله فى كل امر ونتبعه فى عمله هذا فتاثروه واسلموا جميعاً عن بكرة ابيهم . فوقع الرجل احسن موقع فى عين السلطان واحله محلا رفيعاً فى قصره ، وبقى هناك قائماً بسنن ديانته الجديدة المركبة من اليهودية والاسلامية . ومتمماً شعائرها ومناسكها .

غيرانه بينما كان ذات يوم يزمر المزامير مع جماعة من قومه بوغت فنفى الى دلشينيو من اعمال البانية (بلاد الارناؤوط) فمات فيها سنة ١٦٧٦ فى السنة الخمسين من عمره .

مات الرجل المحتال وعاشت بعده فرقته متظاهرة بالاسلام مبطنة المؤسوية وهى بعيدة عما تتظاهر به بعد الثريا عن الثرى . واليوم تجد اصحاب هذه الفرقة فى ادرنه وسلانيك . وترى المسلمين ينظرون اليهم نظر المتحرزين المتحذرين منهم . لانهم بقوا على اعتقاد آبائهم . والحقيقة انهم اصبحوا بدون دين معلوم مترددين بين الشك واليقين . على حد مايروى عن الغراب فى سالف الاحقاب :

ان الغراب وكان يمشى مشية ... فى مامضى من سالف الاجيال
حسد القطاة ورام يمشى مشيها ... فاصابه ضرب من العقال
فضل مشيته واخطأ مشيها ... فلذاك سموه ابا المرقال

لقد رأيت من هم الصهيونيون . والى من ينتمون . ولهذا تجد

الحكومة والمنتسبين اليها يخافونهم خوف الرجال . من الاسد الرئبال، لان الصهيونيين اناس ذوو جد وجهد . وسعي وكد. وذكاء ودهاء، فوتوا من دقة النظر فى الامور مايدفعك الى ان تجعلهم فى مصف الطائر المعروف بالقرلى . الذى قيل عنه : اذا رأى خيراً تدلى . وان رأى شراً تولى . ولهم سطوة عظيمة عجيبة على من حواليهم . لما بيدهم من الاصفر الفتان . والابيض الرنان . ولهذا ترى فى مجلس المبعوثين من يلفت الانظار اليهم . خوفاً من دسائسهم ودبيب عقاربهم ومن ذلك اصطلح عليهم المصلحون من ابناء الدولة الصادق التبعة باسم «الخطر الصهيونى».

وممن نبه الافكار اليهم مبعوثو سورية وفلسطين فانهم اشاروا الى نمو اليهود فى العراق وديار الشام وازدياد معاهدهم الزراعية والصناعية وحسن نظام مستعمراتهم . ومما قاله مبعوث القدس الشريف : ان فى المدينة المقدسة ثمانين الف يهودى بينما ان المسلمين لايزيدون على تسعة آلاف نسمة . وقد ايد مبعوث الشام مقاله رصيفه القدسى وزاد عليه قوله : ان سير هؤلاء الاقوام سير امة ليس الا . فانك تراهم فى ايام اعيادهم يركزون رايتهم زرقاء مكتوب عليها « صهيون ».

ومهما يكن من امر الصهيونية فلا خوف انهم يحشرون يوماً امة . وهم مهما فعلوا لايكونون كذلك فى الارض التى تسكنها انت . بيد ان الذى يبقى راسخاً فى الاذهان هو ان هؤلاء الاجانب يزاحمون بالمناكب ابناء الوطن ويقاسمونهم خبزهم فيزداد التنازع عليها ويكثر

الهراش والمراش بخصوصها . ولما كان اليهود من اشد الامم ارتباطاً فى مابينهم وان نأت الديار كان روح التكافل والتعاضد والتضامن قد بلغ منهم ابعد المبلغ .

فليكن اذاً مثالهم آية لغيرهم ليكونوا يداً واحدة على من يناوئهم فيفوزوا بالنجاح . لان ربك قريب ممن يعقد نيته على الصلاح . ويبغى لقومه الخير والفلاح .

(سؤال الى مجلة العلم فى الديمقراطية والارستقراطية)

جاء فى ص ٧٨ من مجلة هذه السنة من « العلم » ان الديمقراطية نظام سياسى اخترعه ديمقراطيس الفيلسوف . والارسطقراطية من اختراع ارسطو الفيلسوف . وقد فتشنا فى ما لدينا من الكتب عن هذا الرأى فلم نقف عليه . فهل عثرت يارصيفنا على هذا الرأى فى احد الكتب ام وجدت ضالتك هذه نبهاً بعد امعانك فى حقيقة البحث عنها ولا سيما لانك اعدت مثل هذا الكلام فى ص ٨٣ من مجلتك المذكورة الزاهرة

اما الذى حفظناه فهو ان الديمقراطية كلمة يونانية منحوتة من ديموس DÊMOS اى شعب وقراطوس KRATOS اى حكومة ومحصلها « حكومة الشعب اوالجمهور » والارسطقراطية منحوتة من ارسطوس Aristos اى وجيه وقراطوس Kratos اى حكومة ومحصلها حكومة الوجهاء او الاعيان . فنرجوك ان تفيدنا اى الوجهين اصح ولك الفضل .

(سفرة الى كربلاء والحلة ونواحيهما)

سافرت فى شهر نيسان من هذه السنة الى نواحى كربلا والحلة فوقفت فى طريق على بعض الامور لاتخلو من فوائد احببت ان ادونها فى لغة العرب لكى يطلع عليها من لم يعرف هذه النواحى من عراقنا فاقول :

قبل نحو عشرين سنة كان السفر الى الحلة من الامور الشاقة لما يتكلف المسافر من تحميل الاثقال وركوب البغال واعداد الزاد واتخاذ المبذرقة(١) لتخفره فى الطريق من الاعراب المبثوثة فى بوادى هذه الارجاء اما اليوم فتوثير الطريق الواصل بغداد بالحلة وتمهيده اثار فى اهل الوطن الغيرة على خير العموم فانشأوا شركات عجلات متعددة سهلت اعظم التسهيل قطع هذه السهول والحزون بدون ان يحصل مايكدر صفو رحلتهم. اللهم الا فى النادر . والنادر لايقاس عليه .

ركبت احدى هذه العجلات مع بعض الاصدقاء وذلك صباحاً فى الساعة الحادية عشرة وربع عربية ووصلنا (جسر الحر) نحو الساعة

---

(١) البذرقة والبدرقة : الخفارة ، او الجماعة تتقدم القافلة فتحرسها من العدو . والمبذرق : الخفير . وكل ذلك ماخوذ من الكلمة الفارسية « بدراه » المتحوتة من « بد » اى ردئ « وراه » اى طريق فيكون معناها حافظ الطريق الردى : والحكومة العثمانية قد جعلت البدرقة خاصة بالجاندرمة ولهذا يصح ان نسمى الجاندرمة مبذرقة . والجاندرمة لفظة فرنساوية الاصل حديثة الوضع لاحاجة الى استعمالها ، حينما لنا مايقوم مقامها ويؤدى معناها (لغة العرب)

الثانية عشرة الا ربع الساعة فعبرناه على ظهر العجلات بسهولة عظيمة ولم نفعل كما يفعله ركاب العجلات التي تجرى على جسر دجلة في بغداد فان من يريد العبور على جسر بغداد المؤلف من القوارب على الصورة القديمة المعروفة في عهد العباسيين والمبنى كله من الخشب، عليه قبل كل شئ ان ينزل عن مركبته ويفرغها من كل مافيها . ثم يدعو الحوذي او السائق جماعة من اصحابه ليجروا العجلة (١) جراً بكل رفق بدلاً من الدواب فاذا انزلوها الى الجسر دفعوها بكل تحرز عليه خوفاً من ان تنكسر مما تصطدم به من العوائر المتوفرة على ظهر الجسر ، واذا قرب اخراجها من الجسر اجتمع الناس جماعات ليدفعوها الى حيث يكون الخروج بسلامة . وقد لايكون الامر كما توهموه .

واما جسر الخر فهو جسر من حديد مده الفرنسويون قبل ١٤ سنة فنجحوا ولم يصبه مصيبة الى يومنا هذا ، مع ماوقع من طغيان دجلة واشتداد جريان ماء الخر وازدحام العجلات عليه وكثرة الاثقال التي تجر فوقه . هذا فضلاً عن الواردات التي تاتيه . وقد سد مشتراه مراراً عديدة . فقلنا في نفسنا : ليت الحكومة تسعى الى مد جسر من

---

(١) العجلة لفظة عربية فصيحة بمعنى العربة والعربة لفظة تركية نقلها ابن بطوطة ونبه على عجمتها . فلا يجوز للعربي الفصيح ان يستعملها . ويقال بمعناها المركبة . واهل بغداد يسمون العربة «عربانة» والبعض يقول «عربية» . ونحن في غنى عن هذه الالفاظ الزائدة الوحشية .

(لغة العرب)

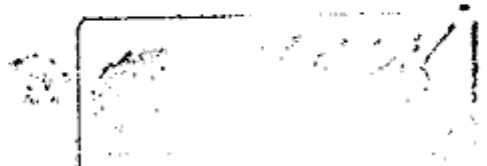

حديد على دجلة وتحقق هذه الامنية الى حيز الوجود تلك الامنية التي في صدور الكبار والصغار منذ سنوات كثار .

ونحو الساعة الثانية صباحاً وصلنا الى (المحمودية) فنزلناها لنستريح فيها . وهي قرية فيها منتديات لشرب القهوة وسوق وخان وعدة دور . ويجد فيها المسافر كل مايحتاج اليه من طعام وماوى . والظاهر ان هذه القرية حديثة البناء في هذه البقعة من الارض لاني لم ار لها ذكراً في كتب التاريخ والبلدان التي بحث عن هذه الارجاء .

قمنا من المحمودية نحو الساعة الثالثة الا ثلثاً فررنا بعد قليل على (خان زاد) كذا يلفظ العوام هذا الاسم . والاصح (خان ازاذ) وهو خان قديم يرتقي بناؤه الى عدة قرون فلما تهدم في اوائل القرن الحادي عشر للهجرة (اوائل القرن السابع عشر للميلاد) اصبح مخبأ للصوص وقطاع الطرق فاعاد بناءه عمر باشا سنة ١٠٨٩ هـ (١٦٧٨ م) واقام فيه حامية تحمي الحجاج والزوار والمسافرين من اهل العيث والفساد . بيد انه لم يمض نصف قرن على تجديده الا وعاد اللصوص العساريط الى هدمه وسكنه .

ونحو الساعة الرابعة ونصف وصلنا الى (الاسكندرية) وهي اليوم قرية حافلة الذكر فيها عدة قهوات (١) وخان وبساتين ومقبرة وعدة

« ١ » المشهور على السنة العوام في جمع قهوة قهاوٍ والبعض يقول قهاوى كانها مشددة الياء وليس ذلك من الجائز بموجب اصول الصرفيين والنحاة لان فعلة لاتجمع على فعائل الا في الفاظ معدودة هذا فضلاً

دور ، لكننا لم نقف فيها بل سرنا قليلاً ووقفت العجلات في مقبرة الشيخ هراوى (الشيخ الهروى) في الساعة الخامسة الا ربعاً . واما الاسكندرية فكانت في سابق العهد مدينة كبيرة بناها الاسكندر ذوالقرنين . وهي التي يسميها المؤرخون اسكندرية بابل . وقد بنى الملك المذكور اسكندرية ثانية في العراق على شط دجلة بازاء الجامدة قرب واسط بينهما خمسة عشر فرسخاً . وهي التي تسمى اسكندرية العراق .

ثم اتممنا المسير الى نحو الساعة السابعة فهبطنا (المسيب) (بضم الميم وتشديد الياء المفتوحة) فنزلنا من العجلات وعبرنا الجسر وهذه القرية مبنية على ضفتي الفرات فيها مساكن كثيرة وجامع فيه منارة ثم محجر صحي ودار برق (تلغرافخانة) الى غير ذلك . وسميت هذه البلدة باسم المسيب بن نجبة الفزاري وكان من اصحاب علي بن ابي طالب وخيارهم (راجع تاريخ الطبري ٢ : ٤٩٧ و ٥٥١) وكان قد قتل يوم الجمعة لخمس بقين من جمادى الاولى سنة ٦٥ هـ (= ٦ كانون الثاني ٦٨٥ م) في وقعة عين الورد . ولكن لا نظن انه دفن في هذا الموطن وانما بني له فيه مزار فسمي باسم المزار .

وفي المسيب حركة عظيمة لما يختلف اليها من الناس اذ يرى فيها

عن ان في لفظة القهوة بمعنى مجلس شرب القهوة او مشرب القهوة تجوزاً من باب حذف المضاف وابقاء المضاف اليه . وهناك تجوز آخر وهو ان القهوة لشراب البن من باب المشابهة لا من باب الحقيقة . « لغة العرب »

كل سنة اكثر من مائتي الف زائر يأتونها من جميع البلاد عن طريق بغداد ليذهبوا الى كربلاء . اما عدد سكانها المقيمين فيها فيقدر بستة آلاف نسمة .وكان في نية مدحت باشا ان يجعل ممر السكة الحديدية في المسيب على جسر يركب الفرات .

برحنا المسيب في الساعة السابعة وعشر دقائق ونحو الساعة الحادية عشرة وصلنا الى (الامام عون بن عبد الله بن جعفر الطيار) وهو الذي قال عنه في اسد الغابة هو عون بن جعفر بن ابي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي والده جعفر ذو الجناحين ولم يقل: عون بن عبدالله وانما عبد الله هو اخوه على ان الذي نقلناه هو ماسمعناه . وهناك ضريح يقال انه ضريحه تظلله قبة معقودة من الحجر القاشاني فوقفنا هنيهة لنريح دوابنا ثم اسرعنا في السير الى نحو الساعة الواحدة وكنا نمر بساتين كربلا فاجتازت عجلاتنا تلك الحمائل الى ان انتهينا الى المدينة .

(الباقي للاتي) عمانوئيل فتح الله عمانوئيل

مضبوط

باب التقريظ

كتاب الارشاد لمن انكر المبدأ والنبوة والمعاد

طبع بمطبعة الآداب في بغداد

تأليف واعظ زاده ابي اسماعيل السيد مصطفى نوري الحسيني الحنفي مبعوث بغداد .

عدد صفحاته ٩٣

ويليه زهر الربى فى حرمة الربا . له ايضاً ، من ص ٩٤ الى ١٠٢
ويعقبه : المطالب المنيفة فى الذب عن الامام ابى حنيفة فى ٢٤ صفحة ، له
ايضاً ويتلوه : خلاصة المقال فى شد الرحال فى ١٨ ص . له ايضاً .
ويختم الكتاب ٦ صفحات « فقط » لتصحيح الاغلاط الواردة فيه .
وهو كتاب جدل ودفاع وذب يفيد جماعة من انكر من المسلمين ،
بعض الحقائق المدونة فى اسفار الايمة والدين ، عسى تكون براهينه
مقنعة لمن انكرها . وهادية ايام الى سواء الصراط المستقيم .

باب المشارفة

مجلة الآثار

مجلة عامة الابحاث تصدر فى زحلة فى نصف كل شهر وهى اليوم
شهرية موقتاً . وتطبع فى دمشق . لمنشئها ومديرها المسؤول الكاتب الشهير
صديقنا ورصيفنا عيسى افندى اسكندر المعلوف اللبنانى . بدل اشتراكها
فى البلاد العثمانية ٦ فرنكات ونصف . وفى الديار الخارجية ١٠ فرنكات .
برز عددها الاول فى تموز من هذه السنة . فالفيناه حسن السبك
والانشاء مختلف المواضيع غزيرها . لكنه لايخلو من مغامز :
منها : خلو مباحثه من التبويب او من نظام متسق متبع كما هو الامر
فى مجلات هذا العصر .
ومنها : ان نقل ابيات السلطان احمد بن محمد ، ص ١١ ، لايستحب
فى مجلة تتناولها ايدى الكبار والصغار ، لاسيما لان منشدها رجل والمقوله
فيه من الشبان ، الامر الذى تأباه آداب هذا العصر .

ومنها : انفق بعض العناوين شيئاً من التكلف كورود « مخطـات العقول » ويراد بهـا « الآثار الادبيه » او « المطبوعات الحـديثه » . نعم ان التآليف هي بمنزلة المخطات ، لبقائها على حالها بقاء المخطـات وان تراخت عليها استار الاعصار ، لكن ما ضر الرصيف لو قال مثلاً « مخلدات الكتاب » او « مآثر العـقول » او « الآثار الادبيـه » اونحو ذلك ، وبالاخص لان البلى قد يدب الى المخطات ولو بعد حين ، لكنه لايدب الى المخلدات او المآثر الادبيه او العقليه .

ومنها : انه سمى « باب الاخبار السياسيه » متحف الاخبار . وليس لهذه اللفظه وجه لغوي فصيح صحيح . اللهم الا ان يقال فيها « متحفه اودار تحف اوخزانه تحف » اوما اشبه ذلك (راجع المشرق ١٠ : ٣٤٣ - ٣٤٤) .

ولم لانحو صديقنا سهولة اللفظ وسلاسته مع الفصاحه والبلاغه وهو من مشاهير كتاب هذا العصر ومقدميه . وعليه : فما ضره لو قال « باب الاخبار السياسيه » ؟ على ان هذا كله لايحط شيئاً من منزلة المجلة . ولا من مقام منشئها الرفيع . حفظه الله . ونجح مسعاه . خدمه للغه والعلم ولكل من ينتمي اليهما .

تاريخ وقائع العراق وما جاوره

(سعدون باشا والمنتفق) لاحديث اليوم في العراق الا مايدور قصه على سعدون باشا والمنتفق والقبض على سعدون وارساله الى بغداد وسجنه

فى قلعة المدفعية ثم انفاذه الى حلب الشهباء . اما سبب هذا الانقلاب فطويل الشؤون، كثير الشجون، نورد بمضامنه ملخصه عن عدة اعداد صحف بغداد ولا سيما عن جريدة الزهور الغراء ، فنقول :

ان اعراب العراق من اشد الناس دهاء وذكاء وهى تميل من ذاتها الى الفتك والغزو والحرب وان لم تحتج الى ما يقوم بها عيشها . وانما تفعل هذه الافعال ظناً منها انها من علامات البسالة والشجاعة والاقدام على الامور الجسام . على انها تمكن وتستكين اذا رات من الحكومة ماتكبح به جماحها . والعكس بالعكس .

ولما اسفر وجه الدستور عن حسنه البديع ظن بعض الرعاع ان الحرية هى الاندفاع الى المعاصى والمنكرات واتيان كل محظور ، ومن جملة من شق عصا الطاعة العشائر المنبثة على ضفتى الفرات وفى سقيه حتى انقطعت حبال المواصلات بين (القرنة) الى (الناصرية) ومنها الى (السماوة) وكل ذلك فى شهر ربيع الثانى من هذه السنة (نيسان ١٩١١) فلما رأى آل السعدون عبث العشائر فى تلك الديار تركت املاكها وعبرت الى جهة الشامية للتخلص من بغى تلك الاقوام الطاغية .

ولما شاع مجئ ناظم باشا الى بغداد وانه قد قدم لاصلاحه وترقية شؤونه طار فرحاً السعدونيون واظهروا من السرور مالم يخف على احد . فسبب هذا الفرح ما أثار فى صدور اولئك الناس اشد الحقد عليهم ، وجزموا بان السعدون يكونون عوناً ويداً للحكومة . ومنذ

ذلك اليوم اخذوا ينظرون اليهم نظرهم الى اعدائهم او الى كاسحي جماجمهم .

وكانت عشيرة الضفير موالية لآل سعدون وشيخها له غاية المحبة حتى انها كانت تود ان تفديه بحياتها . ثم انقلبت الامور ظهراً لبطن واذا بالضفير قد اصبحت من اشد الناس عداوة له . والسبب على ما اتته الرواة هو انه لما كان سعدون باشا في شهر محرم (كانون الثاني ١٩١١) نزيل (الروضة) ومعه جميع عشائره الموالية له دبت عقارب الفتنة اليه والى الضفير فوقع الخلاف بين الفريقين وللحال انفصلت الضفير وغادرته الى مكان قصي فحاول سعدون باشا الى اعادة الماء الى مجاريها فلم يفلح واظهرت العشيرة اعذاراً هي اوهى من بيت العنكبوت . فبعث اليها رسولاً ابنه (ناصر بك) مرة ثانية وقال له : ان لم تجبك اخفرها جرياً على سنن الاعراب واعرافهم » (والخفر عندهم ان يأخذ الامير الكبير من العشيرة العاصية بعضاً من ابلها بموجب الجرم الذي ركبت متنه تأديباً لها) . فذهب الولد ووافى (ابن حويط) رئيس عشيرة الضفير وبلغه رسالة ابيه . فلم يعبأ ابن حويط بقوله ، فاراد ناصر الخفر فمنعه الحاضرون عن مد يده بما سمع من اطلاق الرصاص . وعلى هذا الوجه رجع ناصر بك بما رجع به جنيز بعد ان قتل رجل من رجاله وامرأة ضفيرية .

وفي تلك الاثناء اخذ بعض ذوي السلم بشتى الوسائل لاصلاح ذات البين بين سعدون وشيخ الضفير فرجعت بها [illegible] سعدون باشا وعاد

ادراجه الى ديارهومعه الضفير وفى القلوب من الذحل والغيظ والموجدة مالا يخفى على احدٍ حتى بلغ صداه الى ابن الرشيد انتصرته على الضفير لاسيما لانها اعتدت عليه بتعرضها لموافله سابقاً واخذها منه عدداً من الابل وكان قد امتنع من التنكيل بها محبة لسعدون صديقه .

فلما احس ابن حويط بقدوم ابن الرشيد وانه يكون ظهراً لسعدون شعر بحرج الموقف ولهذا اسرع فى الذهاب امامه واستقباله ولما تلاقيا طلب ابن حويط من ابن الرشيد العفو والصفح فعفا عنه ، ثم طلب اليه ان يتوسط بينه وبين سعدون لعقد عرى الصلح بينهما ، فلبى طلبه، فسار للحال ابن سبهان ومعه شيوخ الضفير الى سعدون پاشا واقنعوه بقبول الصلح فلم يقبل الا بعد اللتيا والتى وبشرط ان تدفع الضفير خفر ٣٠٠ بعير و ٧٠ جواداً . فقبلت ودفعت الى سعدون ماطلبه واعطى هذا من هذا الخفر ٧٠ بعيراً و ١٥ فرساً هدية لابن الرشيد. وهنا روايتان: الرواية الاولى هى ان ابن الرشيد فرقها على عشائره التى كانت الضفير قد اخذت جمالها سابقاً . والثانية : انه وهبها للضفير .

وبعد هذا الوفاق رجع كل منهم الى قومه . واما ابن الرشيد فانه من بعد ان اقام بين ظهرانيهم يومين بعد الوفاق ظعن عن ديارهم . على ان الدسائس لازالت تجرى افاعيها تحت ظواهر الصلح حتى ابتعد ابن الرشيد فقامت الضفير على سعدون حتى خذلته . وليس من العجب ان يخذل سعدون لانه لم يكن مستعداً لمثل هذه الخيانة وانجلت الموقعة عن قتل فى الفريقين وممن عرف عن القتلى ثلاثة من السعدون وثلاثة

من شيوخ الصفير . وكانت هذه الوقعة في ٢٢ ربيع الاول من هذه السنة (= ٢٤ آذار سنه ١٩١١) في موضع اسمه (الحسينية قرب (شقر آه) التي فيها قصر سعدون پاشا .

فلما بلغت الامور هذا المبلغ كتب محمد العصيمي من اعيان الزبير كتاباً الى سعدون بتاريخ آخر ربيع الثاني (اواخر نيسان) يقول له فيه ان يرسل يوسف بك ابن اخيه الى انحاء الزبير لينضم الى عشيرة بني مالك ويقطع الطريق عن قوافل الصفير التي اذنت لها الحكومة ان تأتي الى الزبير. فاجاب طلبه السعدون وذهب يوسف بك حتى وصل الى مسافة ميل من بلدة الزبير فاخذ من العشيرة المعادية ثمانية بعران ولما رأى ان لاقبل له باتمام مابدأ به لمقاومة الصفير له لجأ الى قصر خالد العون في (الشعيبة) احدى ضواحي الزبير الذي اتخذه العصيمي مقاماً له .

ثم كتب محمد العصيمي ليوسف بك ان يرغم العشيرة ويسلبها وينهبها انتقاماً من الزبيريين (الذين استقبحوا عمل العصيمي) فحاصرها يوسف بك في ٢ جمادى الاولى (= ١٠ ايار) حتى انقطعت السبل بين البصرة والزبير وغلت الاطعمة غلاء فاحشاً وخاف الناس على انفسهم الى ان من الله بالفرج على عباده .

ولم تنته الامور الى هذا الحد بل آلت الى صورة اشنع وافظع : زار تسعة من شيوخ البدور في عيد الاضحى من هذه السنة عجيمي بك ابن سعدون پاشا ولعلهم فعلوا ذلك حباً بالسلام والرجوع الى الاتفاق

والوئام ، لاسيما وان عجيمي المذكور امنهم على انفسهم وعاهدهم العهود الوثيقة ان لايؤذيهم ، ثم بعد ذلك غدر بهم كما غدروا هم بابيه فقتل سبعة منهم وفدى اثنان نفسيهما بمال طائل فافلتا . ولما سمعت العشائر بهذه الخيانة التي لم تكن الا بامر من سعدون باشا هاجت وماجت وآلت على نفسها ان تنتقم من سعدون مهما كلفها من المال والرجال وخانت طاعته ولم يبق من العشائر الموالية له سوى الضفير وهذه ايضاً لم تبق على حبها له لانه غزا غزة مع الضفير ومع بعض عشائر السماوة وكانوا له بمقام الخدم والعبيد منقادين لجميع اوامره وزواجره وما كان يكرم احداً منهم غير رؤسائهم فانه كان يكسوهم ثياباً في السنة مرة لا غير وبعد انتصاره نوى ان يحرم عشائر السماوة من الغنيمة . فانكر الضفير عليه هذا العمل ، ومن ثم تحكمت النفرة بين سعدون باشا وبين العشيرة المذكورة واصبح سعدون وحيداً شريداً طريداً ، لايرق عليه قلب ، ولا يعطف عليه عاطف .

ولما كان بقاء سعدون باشا في مقامه مما يزعج الخواطر ويقلقها ويديم الاضطراب في ارجاء المنتفق ، كتب رؤساء العشائر رسالة ، وانفذوها الى ولاية البصرة وبغداد وقد ذيلوها باربعة عشر رئيساً باسمائهم ، وهذا بعض مافيها نقلاً عن جريدة مصباح الشرق في عددها ٤٧ بدون اصلاح عباراتها المغلوطة :

من المعلوم ان الدور البائد باستبداد حكومة آل سعدون على لواء المنتفك

كانت حياة عموم الرعية مستغرقة، ولما تحقق لدى الحكومة جهزت جنداً كافياً فاخرجتهم الى جهة الشامية وبقوا مدة سنين فاستراحت الاهالى وكسبت الامنية وكانت الاميرية تعطى من قبل الاهالى .

اما من مدة ثمان سنين ، فبواسطة اهل الغرض عبر سعدون من الشامية الى جزيرة الغراف وذلك فى زمان ولاية مصطفى نورى باشا ، واخذ العهود عليهم لاحياء مشيخة آبائه واجداده، والذى يمتنع ينهب ماله ويسفك دمه فصارت السلطة عليهم ولا تمكن هجم على قضاء الشطرة وقتل رهطاً من الجند وضايقها ، حتى اضطر الاهالى الى دفع الاموال لخلاصهم من القتل، ثم ارتحل وهجم على قضاء السوق ونهب واحرق، ولما تحققت معاملته لدى الحكومة ساقت الجند مع الفريق محمد باشا بعد ان استغاث اللوآء وعشائره، ففر الى الكويت ثم عاد بواسطة العفو وشيد قلعة المائمة ووضع فيها ما تمكن من الذخيرة، ثم تسلط على العشائر واخذ يجلب رؤساءهم والذى لم يوافقه يقتله، وهكذا استمرت افعاله والحكومة كانت تراها ولم تعاقبه لاطماعها فيه ، الى زمن الوالى السابق مخلص باشا فساق عليه الجند وامر بقلع المائمة ، ولما انفصل من وظيفته رجع واستمر على جوره، حتى بزغ الدستور وتلطف البارئ سلينا بالعدل فما لبث ان عاد لحالته الاولى ايضاً وجرى ماجرى منه من سفك الدماء وقتل الانفس.

ونظراً لمشاهدته العشائر من انتصار حكومة المركز اخيراً، واعطاء القوة الى سعدون وولده صاروا مأيوسين ومحاذرين من تسلط سعدون وولده، لعلمهم بمعاملاته السابقة من قتل النفوس والفعل الشنيع الذى

صدر من عجيمي فوقعت مناوشة خفيفة بين عشائر البدور والجند، وعند دخوله الى اللواء صارت مصادمة بنفس اللواء حتى تلفت جملة نفوس واحترقت جملة بيوت وانتهبت، وترك الناس يقتلون بعضهم بعضا فلم يصلحوا ذات بينهم ولا اخرجوا سعدون من قلعة المائمة وقد كان ذلك غاية ماتطلبه البدور من الحكومة، وقد سحبوا تلغرافات الى المقامات العالية شارحين الحال طالبين اخراجه من المائمة ووضع مفرزة فيها من العساكر المظفرة لاصلاح الطرق فيها والامنية منتظرين الجواب .

فاذا لم يصدر الامر باجراء الايجاب على النظام تحد عشائر البدور مع الضفير والشيخ مبارك الصباح وتصل قبائل لواء المنتفك فى معيته والى الآن ماحصلت النتيجة ولا صدر امر باجرائها.

اما الضفير فقد تم اتفاقهم مع الشيخ مبارك الصباح واما عشائره البدور وقبائل لواء المنتفك ففى المخابرة والمذاكرة واذا بقى هذا الحال ولم يصدر امر باجلاء سعدون وقلع المائمة لقطع دابر الفساد واصلاح الحال ووضع مفرزة من الحكومة فى قلعة المائمة يسرى هذا الداء فى عموم العراق فنلفت انظار الحكومة الى اصلاح احوال العراق وحقن دماء المسلمين وتخليصهم من يد سعدون واولاده وتعيين مأمورين الى اللواء خالين من الغرض محافظين حقوق الدولة والملة فيسعون الى اصلاح هذه المفاسد قبل ان تكون ولاية البصرة مرسحاً للاجانب . اه

ولما تريثت الحكومة فى اصدار امرها تحالفت العشائر على مناهضة

سعدون وضبطت قلعة صغيرة قتل في أثناء اخذها اثنان من رؤساء المتفق فطلب حينئذٍ سعدون من الحكومة ارسال الطعام الى اهل بيته بواسطة البواخر ففعلت وارسلت معها العساكر ، فلما علمت العشائر بذلك امطرت الرصاص على المراكب وعلى من فيها فقابلها الجند بالمثل ذهاباً وايباً ودام اطلاق البنادق من الجانبين اكثر من ١٢ ساعة .

وبعد ان تحققت العشائر وجود سعدون في اللوا آمحاصرته اشد الحصار لاكراهه على الخروج من تلك الديار فخرج بعد حصار دام يومين وليلتين وبخروجه انتهى الحصار . اما العشائر التي ناوأته في تلك الواقعة فكانت البدور والغزى والحسينات والبوعظم والعساكرة .

بعد ان اهين سعدون هذه الاهانة وثبت ان كل هذه البلايا التي نزلت به كانت بسبب الضغير آلى على نفسه ان يطاردها ولو بذل دمه في سبيل تحقيق امنيته . فما زال وراءها حتى اتى الزبير فسمع هناك بقدوم صديقه الحميم السيد طالب پاشا مبعوث البصرة الى المدينة عائداً من الاستانة فاحب مواجهته وكتب اليه رسالة ليعرف منه اذا كان هناك مانع يحول دون زيارته فاجابه المبعوث ان لامانع من دخوله البصرة .

فذهب ولما وصل البصرة نزل به ضيفاً . وحالما علم والي ولاية البصرة بدخول سعدون پاشا المدينة انبأ بلسان البرق لجنة التحقيق والاجراء بمواقاة الشيخ المذكور فورد الجواب بالقبض عليه وارساله الى بغداد مخفوراً . فارسل اليه آمر المبدرقة (اي قومندان الجاندرمة) وقت القيلولة وطلب اليه ان يواجه والي الولاية ، فلبى الطلب مسرعاً

فلما وصل دار الحكومة قيل له ان الوالي في العشار (محلة من محلات البصرة واقعة على شط العرب) فركب العجلة ، ولما وصل الحي المذكور قيل له انه في المركب وما كادت اقدامه تطأ باخرة (مسعودي) الا وشعر بانه محاط بالخفر وانه ينقل الى بغداد فوصلها في ٢٧ تموز ونزل في دار خاصة به عينتها له الحكومة وجعلت له خدماً على نفقته ثم في ٣ آب نقل الى قلعة المدفعية الواقعة على دجلة . وفي ليل ٢٠ آب سافر الى حلب الشهباء عن طريق الموصل فحاكمته هناك والله اعلم بمصير الامور .

اما اعراب المنتفق فقد اخلدت الى السكون والراحة ربما تجد لها مايثير غضبها وفق الله الجميع الا مابه خير العباد ونفع البلاد .

في المدينة بضع اصابات بالهيضة اما الوفيات فتكاد لاتكون شيئاً مذكوراً . الا ان هذا المرض يفتك في المحمرة والوفيات فيها من ٢٥ الى ٣٠ في اليوم مع ان المدينة قليلة السكان .

قدم الى بغداد واليها الجديد احمد جمال بك نهار السبت ٢٦ آب وقرئ الفرمان نهار الاربعاء ٣٠ آب .

« بغداد » طبعت في مطبعة الآداب